

# الفصل السادس

## المراهقة المنحرفة

### ( الشكل الرابع )

المصوبات الهامة للمراهقة :

ليست حالات هذا الشكل سوى الصورة المتطرفة للشكل الثاني ( المراهقة الانسحابية ) في بعض الأحيان ، وللشكل الثالث ( المراهقة المدوانية ) في أحيان أخرى . . فالواقع أن المراهقة في كل من الشكلين الثاني والثالث هي مراهقة غير متكيفة أو متوافقة ، ولكن مدى الانحراف فيها لا يصل إلى الخطورة البادية في حالات الشكل الرابع — حيث تقابلنا مصدر من الانحلال الخلقى التام أو من الانهيار النفسى الشامل ، وحيث تبدر من المراهقين تصرفات يروّع لها المجتمع ، ويتحدث الناس عنها ، فيدخلونها تارة في عداد الجريمة وأخرى في عداد المرض النفسى أو العقلى . ويمتبرونها في حالة ثالثة شكلا من أشكال سوء الخلق والفوضى والاستهتار . بيد أن الخط الفاصل بين الصحة والمرض أو بين التوافق والاتوافق ليس في الواقع إلا خيط دقيق . . وبمباراة أخرى فإن الصحة النفسية والتوافق أمران نسبيّان ، والناس — والمراهقون من بينهم — إنما

يتفاوتون في حظهم من الصحة أو المرض وفي المسدى الذى يملأونه  
في التكيف مع مجموعاتهم وبيئاتهم .

وتتألف حالات الشكل الرابع من المراهقين الذين بلغوا الذروة في سوء  
التكيف وفي مجافاة سلوكهم لأساليب السلوك المتعارف عليها — وهو  
ما اصطلاح على تسميته بالانحراف أو الجنوح أو السلوك المرضى . . أما أنواع  
الانحراف بينهم فقد اختلفت وتمددت ؛ فكان من بينها السرقة ، والإيغال  
في الكذب ، والاعتداء المادى على الأب أو المدرسين ، والأعمال الانتقامية  
العنيفة ، والتهاك على اللذات ، والمغامرات الماجنة المستهتره ، وإدمان  
المخدرات . . وكان من بينها كذلك الشذوذ الجنسى ، والمبالغة في إيذاء  
النفس ( النزعات الماسوشية ) ومحاولات الانتحار !!

واقدر يكون تحظ المراهقين في البحث الحالى أسعد كثيراً من أقران لهم ،  
من تفيض أنهار الصحف بأخبارهم بين الحين والحين . . فمن المعلوم أن  
الانحراف الذى طبع به مراهقة أصحاب الحالات في الشكل الرابع لم يطل  
به الأمد ، وإنما تمدل سلوكهم بمد إذ استقامت ظروف حياتهم وتبدلت  
بيئاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية . ولهذا ما له من دلالة على أن انحرافهم السابق  
وتوتر مراهقتهم ، إنما تأثر أكثر ما تأثر بما قابلوا من المواقف والمواقف  
الإيجابية ، وبمقصود مجتمعاتهم عن الإشباع السليم لحاجات نموهم .

## العوامل المؤثرة في المراهقة :

إن العوامل المؤثرة في عبورة الانحراف هي أساساً نفس العوامل المفتوحة للمراهقة غير المتكيفة في الشكائين الثاني والثالث ، مع اشتداد في درجة هذه العوامل ومع إضافة بعض العوامل الجديدة أحياناً .

ومن العوامل التي تحتاج إلى شيء من التخصص ما يلي :

١ - مرَّ بعض المراهقين بخبرة شاذة مريرة أو صدموا صدمة عاطفية عنيفة ، لوَّنت تفكيرهم ووجدانهم لبعض الوقت بلون قائم متشائم . . . والأمثلة على ذلك متعددة من الحالات - من بينها أن مراهقاً اعتدى اعتداءً جنسياً على فتاة من قريباته وظل يعيش بعد ذلك في صراع مقيم ودوامه فكرية لا تهدأ ، زاد منهما ضغط أبيه وأسرته الفتاة عليه لتزويجه منها . ثم صدم مرة أخرى بوفاة والدته - وكانت الشخص الوحيد الذي ساندته وعطف عليه - فشمَّر بأنه أصبح وحيداً بين أناس يناصبونه العداء وفقد ثقته بنفسه كما تزعر إيمانه بالناس والدين والحياة ، فراودته الأفكار الانتحارية السوداء !! . . . ومراهق آخر نالت ألسنة الناس من أحد أفراد أسرته ، فكان للابسات هذا الظرف آثارها البعيدة على سلوكه ؛ من خزيه بمواجهة الناس وشعوره بالخزي بينهم ، ومن ثورته العنيفة وسخطه على أسرته ، ومن انحراف إيمانه وشكته في الدين والمثل والفضيلة ، إلى غير ذلك من الاتجاهات المرضية الخاطئة في حياته ! . . . وسنحت لمراهق ثالث فرصة

استولى فيها مع صديق له على مبلغ كبير من المال ، فسكان ذلك المال مفسدة  
لصديقين ، ودفع بهما إلى مهاوى الرذيلة حتى بلنا أغوارها السحيقة ! !

٣ - وكان انعدام الرقابة الأسرية أو تخاذلها وضعفها ، من العوامل  
الأساسية في انحراف عدد من المراهقين . ولم يكن ذلك دائماً بسبب  
الظروف القهرية التي لم تسمح للآباء بالإشراف على أبنائهم ، بل كان بعض  
الآباء يعتمد منح المراهق حرية التصرف المطلقة ، ولا يكاف نفسه مشقة  
الاطلاع على أحواله أو محاولة توجيهه . . . وكان هذا النفر من الآباء متأثراً  
بما زعمه من اتجاهات «عصرية» لم تكن في حقيقتها سوى اتجاهات انحلالية ،  
وإساءة لفهم معنى التربية الاستقلالية ، أو مغالاة في تفسير الحرية تفسيراً  
يقرب بها من الفوضى والاستهتار !

فمن الغريب أن أحد الآباء - مثلاً - كان يعرف عن مقامرات  
مستهترة لابنه مع صحبة (أرستقراطية) من أمثاله ، فسكان يشجعه على  
ذلك ويضع عربته الفاخرة تحت تصرفه ! . . بل لقد شجع والدها هذا  
المراهق ابنتهما على التماذى فيما كان عليه من غرور ، فكانا يصفانه بما ليس  
فيه ويزعمان أمام الناس أنه « فيلسوف » تارة و « فنان » تارة أخرى ،  
ويجدان له بذلك المبررات لتأخره الدراسي المشين !

٣ - وكما هو الحال في الشكاين الثاني والثالث ، كانت القسوة  
الشديدة في معاملة المراهق في الأسرة وتجاهل رغباته وحاجات نموه ، من  
من بواعث تحلل علاقات المراهق في الأسرة الذي بلغ ببعض المراهقين

حد الاستهتار الكامل بالديهم وبالسلطة المدرسية وكافة أنواع القيود  
والضوابط الاجتماعية... ومن أمثلة ذلك ما تسببت عنه حرمان أحد الآباء  
من غلظة المراهق مع أبيه وإرغامه له على إجابة مطالبه بل واعتدائه على  
أبيه بالقول والفعل !

كذلك كان التدليل الزائد من أسباب الانحراف في بعض الحالات ،  
كما في حالة مراهق تسابق على تدنيه - في الطفولة وبسببها - ثلاثة  
بيوت ؛ بيت والديه وبيت جديه وبيت ثالث لأحد أقربائه . فنشأ  
لا يتحكم في رغباته ولا يستطيع صبراً عليها ، وأسرف إسرافاً شديداً  
في العلاقة الجنسية دون تقدير للمواقب أو المخاطر في سبيل ذلك . .  
وأما المراهقون المدللون أمثالهم ممن لم تكن لهم فرصة الملاقة الجنسية  
الطبيعية ، فسكانوا يسرفون في النشاط الجنسي الدائى أو يلجأون إلى علاقة  
منحرفة شاذة !

د - وتكاد الصحبة السيئة أن تكون عاملاً مشتركاً في جميع  
حالات الجنوح والانحراف الذى أتجه إلى الأساليب العدوانية . . ويجدر  
بالذكر أن استمساك المراهق بالصحبة السيئة اقترن غالباً بميوب التربية  
في المنزل والمدرسة وباشتطاط هذه التربية في ناحية أو أخرى .

هـ - ولا بد من تمييز عامل النقص الجئاني أو الضعف البدني كعامل  
أساسي في المراهقة المنحرفة ، فقد عانى معظم المراهقين في الشكل الرابع  
من إحساسات النقص المترتبة على ضآلة جسمهم وتأخرهم عن الأنداد  
( م هـ - المراهق المصرى )

في قوتهم البدنية . . ولجأ بعضهم في تبويض النقص إلى الإسراف في الملاقة الجنسية كأبيانوس لإثبات الرجولة والسيطرة وإلى الطرق المدوانية المختلفة . وإتجه البعض الآخر إلى المدوان المرتد إلى الذات ، أي إلى الانكماش وإيقاع الأذى بالنفس واستئجاب الألم والنزعات « المأسوسية » على اختلاف صورها !

٦ — وعانى أكثر المراهقين من التأخر الدراسي ، إما لظروف تسببت فيه أو لنقص في قدراتهم العقلية . . وكان هذا التأخر من أسباب عدوانهم في المدرسة وهربهم منها واتجاههم إلى الميادين الخارجية لإثبات الذات ومحاولة تبويض النقص .

ومما عزز هذا السلوك تركيز المدارس على التحصيل الدراسي والمناهج الأكاديمية الجوفاء ، وإهمالها لاعتبارات النمو المتكامل والاهتمامات الأساسية للمراهقين ، وبخاصة إشباع حاجتهم إلى التقدير والاعتبار ، وإلى القيام بأعمال ذات مسؤولية ، وإلى إنشاء علاقات اجتماعية ناجحة . . وكذلك تساؤل المراهقين فيما يختص بالمعارف الجنسية والكونية والمذهبية والاجتماعية ، وتساؤلهم المرتبط بآبواب الكسب والعمل أو مجالات الدراسة المالية والمهنية .

٧ — ولعبت الأحزاب السياسية (قبل الثورة) دوراً هاماً في اتجاهات العنف والقسوة التي أتجه إليها بعض المراهقين . . فقد أدركت هذه الأحزاب حقيقة الفراغ النفسي في حياة كثير من تلاميذ المدرسة الثانوية ،

فكونت لهم التنظيمات المختلفة وعهدت إليهم بالمسئوليات والأعمال التي يشمرون فيها بالتأثير والاعتبار الاجتماعي ، والتي تخدم في الوقت نفسه الأهواء السياسية لهذه الأحزاب . . . وشجعت الأحزاب على التظاهر والتخريب والعنف ، مستخدمة الرشوة والهدس أحياناً ، ومستغلة في أحيان أخرى قوة الشعور الديني عند بعض المراهقين ومحبهم عن الأهداف التي يتملقون بها والقذوة التي يترسمون خطاها . . . وكان لكل ذلك آثاره البعيدة في حياة مراهقينا إلى عهد قريب ، وإن اختلفت هذه الآثار باختلاف العوامل الأخرى البانية أو الهادمة في حياتهم !

٨ - وكان سوء الشدائد للحالة الاقتصادية الأسيرة من الأسباب التي دعت إلى ضيق بعض المراهقين بأنفسهم ، وتواريتهم عن المجتمعات ، وتغلب اليأس وإحساسات الفشل والدونية في حياتهم . . . وقد اتجه البعض بسبب ضيق ذات اليد إلى دراسات لا تتفق مع طبيعة استعداداتهم العقلية ، مما كان له أثره في سوء تكيفهم .

٩ - وإلى جانب العوامل السابقة ، تشير بعض الدلائل إلى تأثير العوامل العصبية الاستعدادية أو الاختلال في التكوين القلدي في انحراف بعض الحالات . . . على أن العوامل الاستعدادية ليست بأي حال مسؤولة عن جميع حالات الانحراف ، كما أنها لم تكن لتكفي - دون مؤازرة العوامل الأخرى - لإيجاد الانحراف أو السلوك المرضي .

## أحداث من الحالات :

( نظراً لأن بعض الحالات تكشف تفاصيلها عن أصحابها ولأن خبراتها أعنف فمن أن يصرح بها في كتاب ، فقد اكتفينا بالمثاليين التاليين ، وإن كنا أخف قسوة وأقل تمثيلاً من الأمثلة الأخرى للشكل الرابع في المراهقة . وحذفنا منهما - بالضرورة - بعضاً من التفاصيل كذلك . ونكرر أن الانحراف لم يدم بأشخاص هذا البحث ، الذين هم الآن من المواطنين الأسوياء النافمين ) .

١ - اتجهت هذه المراهقة في جانب كبير منها إلى الانحراف ، وذلك بتأثير عوامل عدة أهمها ضعف الرقابة الأسرية ، والصحبة السيئة ، والتشجيع الحزبي في المدرسة الثانوية ، وسال كثير وقع في قبضة الزاهق ورفيق له . وكانت النتيجة جنوح المراهق إلى العنف والفوضى وأدفاعه في المنازعات الماجنة وتحوله عن تدينه السابق وتكرار رسوبه في الدراسة .

وتنتمي أسرة هذا المراهق في الأصل إلى المدينة ، ولسكنها عاشت رداً من الزمن في القرية بحكم عمل الأب . . وكان المراهق حتى ختام المرحلة الابتدائية - أي حتى الخامسة عشرة من عمره - متديناً ، يحافظ على مواعيد الصلاة التي غالباً ما يؤديها بالمسجد ، ويحرص على الصيام ، ويحفظ في المدرسة في المناسبات الدينية .

ثم التحق بالمدرسة الثانوية فأقام في المدينة مع أخيه الأكبر . وكان

أخوه هذا يعامله معاملة فيها تهاون شديد ، فسرعان ما أفلت المراهق من كل سيطرة لأخيه على تصرفاته . . .

واتصل المراهق في أثناء فترة الدراسة الثانوية بأحد الأحزاب السياسية ، فاستهواه منه أنه سلاحه (بالكرابيج) وغيرها لضرب التلاميذ المنتقمين إلى الأحزاب الأخرى ، وكانت هذه الخبرة مبدأ لاتجاه العنف والاستهتار في حياة المراهق !

وساعد انعدام التوجيه المناسب في المدرسة وضعف رقابة الأخ الأكبر على انخراط المراهق في صحبة سيئة من زملائه . . . وكان له من هؤلاء صديق زين له الاشتراك معه في سرقة مبلغ من المال يقارب الثلاثمائة من الجنيهات ، هو مجموع مدخر والد الصديق وجده لأداء فريضة الحج ! « فكان هذا المبالغ الضخم — الذي ادعى الصديقان أمام معارفهما أنهما عثرا عليه في فجوة — وبالأ كبراً عليهما . . . لقد أنفقاه كله — أو أضعاه كله — في مدى عام ، عاشا فيه عيشة البذخ والمبث واللهو ؛ فاشترى كل منهما سترة غالية وساعة غير التي معه ، واشتريا حاكياً (جراموفون) وأشياء أخرى كانوا في غنى عنها ، وأقبلا على التدخين بغير حساب ، وسافرا أيضاً إلى القاهرة والاسكندرية فأهضيا بها أياماً عابثة . . . وبلغ بهما الاستهتار أنهما أقاما (الليالي الحمراء) في مسكن المراهق دون مبالاة بأخيه الأكبر الذي كان يضطر إلى مفادرة المنزل !! . وفي نهاية العام ، نفذ السكندر الذي اغترف منه الصديقان دون حساب أو كاد ، فشرعا في بيع أكثر الأشياء

التي سبق لها شراؤها ، كما اكتشف أمر السرقة وأجرى معها تحقيقاً بشأنها ، وإن نجوا من العقوبة !

وقد ترتب على هذه الخبرة العنيفة في حياة المراهق كثير من الآثار السيئة ؛ كان من بينها تكرار رسوبه في المدرسة ، واستهانته بالقيم الأخلاقية والاجتماعية ، وخشونة معاملته لأفراد أسرته . . . وكانت هذه الظواهر ناقوس الخطر الذي نبّه الأب إلى انحراف ولده فجعله يسمى حتى انتقل بمهله إلى المدينة لإعادة الرقابة عليه . ويقول المراهق إن سلوكه اعتدل نسبياً بمد هذا الإشراف من والده عليه ، وإن ظلت به بقية من أهوجاج . . . فقد لجأ أحياناً إلى السرقة ( الخفيفة ) من المنزل ليواجه نفقات التدخين وغيرها ، وترك والده يعاقب أخاه الأصغر هل يحدى هذه السرقات . كذلك لم ينقطع عن قضاء الأوقات الطويلة في اللهو ( والتهرج ) مع ثلة الأصدقاء . وأصبح سريع الثورة إذا لفت والده نظره إلى العناية بدروسه أو نصحه بالابتعاد عن رفاق السوء ، بل لقد هدد مرة بالانتحار إثر تعنيف والده له وشرع فيه فعلاً !!

٣ — وهذه حالة أخرى لمراهقة جامحة مشككة ، يعتبر الوالد المسئول الأول عما أصابها من انحراف — فقد أدى ضغطه الشديد على المراهق وجهله بالوسائل المناسبة لمعاملته ، إلى اندلاع ثورته الحامية على أبيه ، وإلى اتخاذها صورة الاعتداء المادي على الأب والتحطيم والتخريب في المنزل وأعمال العنف والانتقام عامة . وبالرغم من أن المراهق كان متفوقاً في

دراسته في مبدأ الأهر ، فقد أفسد الأب حياته الدراسية أيضاً بتصرف سيء ، كان من نتيجته تدهور المراهق دراسياً وشعوره الحاد بالنقص ، مما أثر تأثيراً سيئاً على اتجاهات المراهقة .

وقد كان هذا المراهق أصغر الأبناء لأبوين أميين جاهلين . وكان أبوه رقيق الحال ، ولكنه وضع في اعتباره أن يشتري في كل عام فسداناً من الأرض ، فقتر تفتيراً شديداً على أبنائه وبيته !

وكان المراهق في صباه ناجحاً بل متفوقاً في دراسته بالمدرسة الأولية . ولما كان أحد أقربائه تلميذاً بالسنة الثانية الابتدائية ، فقد أراد له أبوه ألا يقل عن هذا القريب ، فعمل على إلحاقه بالسنة الثانية الابتدائية بعد المدرسة الأولية مباشرة ، وذلك بالرغم من انقضاء شهر على بدء العام الدراسي ! وترتب على هذا المسلك أن المراهق قابل صعوبة كبيرة في مجاراة تلاميذ فصله وبخاصة في اللغة الأجنبية ، فتدهورت نظراته إلى نفسه وشعر بالنقص بين الأقران . ولم يقتصر الأمر على هذا بل اشتد مدرسه في عقابه — بتعريض من أبيه — على تأخره في التحصيل ، وغالى أبوه أيضاً فتوعده بأن يقذف به من السطاح إذا رآه خارج غرفة المذاكرة . . . فاضطرب المراهق لئكل ذلك اضطراباً كبيراً ، سادت معه محته — بل انتابته حالة عصبية شاذة ، يقول في وصفها إنه عانى نوبات البكاء الحاد كما أخذت بخنافة ( السكوايس ) الليلية والأحلام المفزعة !

ولم يكن يمكننا أن يدوم الحال على هذا المنوال ، فتطور الأمر  
بالمراهق إلى الثورة المارسة على أبيه وإلى جفوة الخلق والملاحظة وعدم  
المبالاة . . . لقد أخذ يرفض أوامر الأب رفضاً صريحاً ، ثم تمادى فجهل  
يفرض على أبيه أوامره وطلباته . . . وكان يطلب من أبيه النقود لشراء  
السجائر ويدخنها أمامه ويهدد بتحطيم الأثاث والأدوات المنزلية عند  
امتناع الأب . . . وفي مرة طلب من أبيه شراء سترة جديدة فذكره الأب  
بالسترة التي اشتراها له منذ عام ، ولكن المراهق ثار عليه وهدده إن لم  
يحضر له قسراً كل ما يطلب وزاد على الطلب أشياء أخرى . وقد استاء  
الأب فهجم على ولده بمصاه ، ولكن المراهق جرى إلى الخارج فاشتري  
مطوأة هدد بها أباه ، واضطر الأب إلى شراء السترة ! . . . وفي مرة أخرى  
مزق المراهق هذه السترة ومزق كتبه وحطم جهاز الراديو عقب صدام مع  
أبيه بسبب شراء أثاث جديد لفرفته . . . وهكذا سارت الأمور من سيء إلى  
أسوأ ، حتى كتب المراهق لأبيه يخبره بأنه يريد الزواج وعدم إتمام الدراسة .  
وتردد أبوه في مبدأ الأمر ثم انصاع لرغبته فخطب له إحدى الفتيات ، كما  
ترك المراهق التعليم فترة إلى الاشتغال بالأعمال الحرة . . . ويقول إن حياته  
هدأت تماماً بعد ذلك حيث أصبح مستقلاً عن الأسرة من الناحية  
الاقتصادية ، وحيث بعد عن سيطرة والده وسيطرته ، وتخفف أيضاً من  
شعوره بالنقص حيال زملاء الدراسة . ولما كان عمله يقتضى مخالطة الناس  
فقد هياً له ذلك التخلص من خجله السابق منهم ، الذي يمزوه إلى منع

والده له من مجالسة الكبار . كذلك هيباً له الزواج الاستقرار الانفرادي .  
والتخلص من إدمانه للاجنسية الذاتية .

ويعمل المراهقة إلى الاستقرار ، أنجبه المراهق إلى إعادة تنظيم حياته ،  
ووضع أهداف لها . . فتقدم للشهادة التوجيهية من المنزل ، ثم مضي في  
سبيل دراسته العالية باذلاً في ذلك كل جهد ، حتى يهوض ما فؤده التمويق  
والضياع فيما سبق من الأيام .